

فقه الأسماء الحسنی

المخالق

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

٧-٠١-١٤٢٨هـ

تفریغ: أم یعلی السلفية

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurri.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد..

معاشر المستمعين؛ إن من أسماء الله الحسنى: الخالق.

وقد وردَ هذا الاسم في القرآن الكريم في عدّة مواضع؛ منها قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقوله -جلّ وعلا-: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وردَ هذا الاسم في صيغة المبالغة (الخالق) في موضعين من القرآن: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

والخلق - معاشر المستمعين - يُطلق ويُراد به أحد أمرين:

○ أحدهما: إيجاد الشيء وإبداعه على غير مثال سابق؛ ومنه قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَتَ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣)﴾ [الأعلى: ٣-٤]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

○ والثاني: بمعنى التقدير؛ ومنه قولهم: خلق الأدم أي: قدره، وقول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعد - ض القوم يخلق ثم لا يفري
أي: أنت إذا قدرتَ أمراً أمضيته، وغيرك يُقدرُ ثم لا يمضي
الشيء الذي قدره، وقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَا﴾ [العنكبوت: ١٧]؛ أي تُقدرونه وتهيؤنه، ومن هذا قول الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنين: ١٤].

فالخلق في نعوت الآدميين معناه التقدير.

أما الخلق الذي هو إبداع الشيء وإيجادُه على غير مثال سابق فمُتَفَرِّدٌ به ربُّ العالمين، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وقال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١]، وفي الآية تحدُّ لجميع الخلق؛ بل الله - سبحانه وتعالى - أثبتَ عجزَ الناسِ أجمعين - ولو اجتمعوا عن آخرهم - عن خلقِ ذُبابٍ واحدٍ، وهو من أضعفِ الحيوانِ وأحقَرِه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)﴾ [الحج: ٧٣-٧٤]، ثم إنَّ خلقَ الله لهذه المخلوقات لم يكن لهواً أو عبثاً أو لعباً - تزهة الربُّ وتقديسٌ عن ذلك -، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُواً لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)﴾ [الأنبياء: ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)﴾ [الأنبياء: ١١٥].

الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) ﴿﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]؛ بل إِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ:

ودليل الأول قول الله تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

ودليل الثاني الأول قول الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

معاشِرَ المُستمِعين؛ وقد ضلَّ في هذا الباب أكثر الخلق؛ فعرفوا أنَّ الذي خَلَقَهُمْ هو الله وحده لا شريك له، وأَنَّهُ وحده -سُبْحَانَهُ- تَفَرَّدَ بِخَلْقِهِمْ وَخَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَالْأَشْجَارَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ وَمَعَ هَذَا الْإِقْرَارِ صَرَّفُوا الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "مِنْ إِيْمَانِهِمْ: إِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟، وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالَ؟، قَالُوا: اللَّهُ وَهُمْ مُشْرِكُونَ"، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: "تَسْأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَيَقُولُونَ: اللَّهُ، فَذَلِكَ إِيْمَانُهُمْ بِاللَّهِ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ"، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "يُرِيدُ: عَدَلُوا بِي مِنْ خَلْقِي الْحِجَارَةَ وَالْأَصْنَامَ بَعْدَ أَنْ أَقْرَأُوا بِنِعْمَتِي وَرُبُوبِيَّتِي".

معاشِرَ المُستمِعين؛ وَيَكْثُرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْاسْتِدْلَالُ عَلَى الْكُفَّارِ بِاعْتِرَافِهِمْ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُنْعِمُ الْمُتَصَرِّفُ عَلَى وَجْهِهِ إِفْرَادِهِ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَّيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، فَلَمَّا ذَكَرَ إِقْرَارَهُمْ بِهَذَا وَبَخْهَمُ مُنْكَرٌ عَلَيْهِمْ شِرْكُهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَّيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، فَلَمَّا ذَكَرَ اعْتِرَافَهُمْ بِهَذَا وَبَخْهَمُ مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ شِرْكُهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠]، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَوَابَ -الذي لا جَوَابَ لَهُمْ غَيْرُهُ- هُوَ: لَا؛ أَيِ لَيْسَ مِنْ شُرَكَائِنَا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، فَلَمَّا تَعَيَّنَ هَذَا الْاعْتِرَافَ وَبَخْهَمُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ يَبْدَأُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ (٨٩) [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾ [النمل: ٥٩-٦٠].

معاشِرَ المُستمِعين؛ وَهُنَا يَعِجِبُ الْعَاقِلُ أَشَدَّ الْعَجَبِ لِعُقُولِ الْمُشْرِكِينَ؛ كَيْفَ عَدَلُوا مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ بِمَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لغيرِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي

السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ! ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢)﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢]، وَكَيْفَ سَوَّوْا الشَّرَابَ بِرَبِّ الْأَرْبَابِ!، وَكَيْفَ سَوَّوْا الْعَبِيدَ بِمَالِكِ الرَّقَابِ!، وَكَيْفَ سَوَّوْا عِبَادًا أَمْثَالَهُمْ بِالرَّبِّ الْعَظِيمِ وَالْخَالِقِ الْجَلِيلِ -سُبْحَانَهُ-!، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وَتَعَالَى الرَّبُّ -عَزَّ وَجَلَّ- عَمَّا وَصَفَهُ هَؤُلَاءِ وَ سُبْحَانَهُ عَمَّ يُشْرِكُونَ.

وهَذَا تَنْتَهَى هَذِهِ الْحَلَقَةُ، وَإِلَى لِقَاءِ آخَرٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

